M.S.A.R
مجلة دراسات وبحوث إعلامية
Journal of Media Studies and Research
مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية الاعلام بالجامعة العراقية
ISSN: 2308 - 0728

THE SHIFT FROM THE "EMPOWERMENT" OF PHYSICAL REALITY TO THE "POTENTIAL OF METAPHORICAL SPACE" AN INVESTIGATION INTO THE NATURE OF ISIS MEDIA DISCOURSE

HADEEL KAMIL SHUKUR

E-Mail :
baghdad.news@gmail.com

Phone Number :
07735595932

Ministry of Higher Education and Scientific Research - Legal Department

Keywords:

- **Media discourse.**
- **ISIS.**
- **Enabling physical reality.**
- **Possibilities of metaphorical space.**

ARTICLE INFO

Article history:

Received : 20/ 7 /2022
Accepted : 11 /8 /2022
Available Online : 15 / 9 /2022

ABSTRACT

The research monitors the nature of the media discourse of ISIS and then the "caliphate state" that was formed through it and the transformations that occurred in the discourse through two levels: the stage of control and empowerment and implementing policies after the formation of its alleged state, which we called the empowerment of physical reality, and the post-state stage and its loss The land and the transformation of its policies and organizations into virtual reality and the management of its affairs via the Internet and through social networking sites, which we called "the potential of the figurative space." The vision revolves around how the discourse will be after losing the sites on which the state was based and the political and military developments that undermined the authority of the organization , and whether it will affect the structure of the discourse and the extent of its effectiveness, and in brief…

Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R)

© 2021 M.S.A.R, College of Media | The Iraqia University

التحول من "تمكين" الواقع الفيزيائي الى "إمكانات الفضاء المجازي بحث في طبيعة الخطاب الاعلامي لـ"داعش"

م.م هديل كامل الجواري

الإيميل :

baghdad.news@gmail.com

رقم الهاتف : ٠٧٧٣٥٥٩٥٩٣٢

عنوان عمل الباحث:

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – الدائرة القانونية

الكلمات المفتاحية:

- الخطاب الاعلامي.
- داعش.
- تمكين الواقع الفيزيائي.
- امكانيات الفضاء المجازي.

معلومات البحث

تاريخ البحث :

الاستلام :٢٠ / ٧ / ٢٠٢٢

القبول : ١١ / ٨ / ٢٠٢٢

التوفر على الانترنت :١٥/ ٩/ ٢٠٢٢

المستخلص

يرصد البحث طبيعة الخطاب الاعلامي لتنظيم داعش ومن ثم "دولة الخلافة" التي تشكلت من خلاله والتحولات التي طرأت على الخطاب من خلال مستويين اثنين هما مرحلة السيطرة والتمكين وإعمال السياسات بعد تشكيل دولته المزعومة وهو ما اطلقنا عليه بتمكين الواقع الفيزيائي، ومرحلة ما بعد الدولة تلك وفقدانه الارض وتحول سياساته وتنظيماته الى الواقع الافتراضي وادارة شؤونه عبر شبكة الانترنت ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي وهو ما اطلقنا عليه "امكانات الفضاء المجازي"، وتدور الرؤية حول الكيفية التي سيكون عليها الخطاب بعد فقدانه المواقع التي كانت تقوم عليها الدولة والتطورات السياسية والعسكرية التي قوضت سلطة التنظيم، وفيما اذا كانت ستؤثر على بنية الخطاب ومقدار فاعليته، وبشكل موجز قياس مقدار التحول –سلبا او ايجابا- من تمكين الواقع الفيزيائي الى امكانيات الفضاء المجازي. ليخلص البحث الى ان تنظيم داعش ومثله التنظيمات المتطرفة عقائديا –سواء كانت تمارس العمل التنظيمي او تدير شؤون مساحات تقترب من مفهوم الدولة- لا يمكن ان تنتهي فكريا مع خيارات الحسم العسكري ومن الممكن ان يشهد الخطاب ضمن الفضاء المجازي تطورا يقف على العكس خسارته العسكرية، بعد ان تتحول جهود التنظيم اجمع باتجاه الواقع الافتراضي في اعادة هيكلة التنظيم وادامة التواصل مع العناصر التابعة المؤيدة له.

© 2021 مسار، الجامعة العراقية | كلية الاعلام ،

Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R) - Journal of Media Studies and Research (M.S.A.R)

المقدمة : مع اعلان الحكومة العراقية في منتصف تشرين الاول/ نوفمبر ٢٠١٧ عن تحرير المناطق التي كانت تخضع لسيطرة تنظيم الدولة الاسلامية "داعش" في العراق، والتي كانت تمثل الحدود لـ"دولة الخلافة"، بدأ الحديث عن السيناريوهات المتوقعة لما سيكون عليه شكل الدولة تلك مع فقدها احد اهم

الركائز التقليدية في تكوين الدولة وهي "الارض" والالية التي سوف يجري التواصل فيها اتباع تلك الدولة ومناصريها.

وكذلك فان المساحة التي كانت توفرها الارض لداعش او ما يمكن ان يطلق عليه بالفضاء او الواقع الفيزيائي بالنسبة له في قيام مؤسسات وسن قوانين تتوافق مع رؤيته الدينية وتنفيذها والمراقبة على تطبيقها لم يعد ممكنا، وبالتالي لم تعد هناك مؤسسات وافراد عاملين او نظام دولة كما يفترضه التنظيم. وتباعا لم تعد هناك مؤسسة تعنى بالاعلام وتنظم شؤونه بشكل مباشر، ليبدأ السؤال: كيف سيكون عليه اعلام داعش بعد نهاية دولته في العراق؟ هل يمثل الفضاء الفيزيائي محورا اساسيا في اعلام التنظيم يمكن ان يؤثر بالفعل على مسيرة هذا الاعلام؟ وما طبيعة المخاطب واليات الخطاب التي يمكن ان تختلف في الزمان الفيزيائي عنه في الزمان الافتراضي؟

فالارض علاوة على كونها واحدة من عناصر تكوين الدولة، فهي ايضا من المستلزمات الرئيسة لتطبيق الاحكام الشرعية، وفاعلية ونفوذ اي دولة في اطارها الديني، وان مجمل السياسات الدولة العامة التي تعمل على تطبيق تلك الاحكام في الاطار الشرعي لمعتقداتها قد تتعطل على وفق اعتقاد التنظيمات الاسلامية مع فقدان السلطة، وبالتالي هل من الممكن لاحكام داعش الشرعية ان تتوقف شأنها شأن سياسات الدولة العامة مع فقدانها الارض، ام ان بعض الاحكام سارية المفعول ولا تعتمد في تنفيذها على الارض بوصفها العنصر الفيزيائي، وهناك امكانية لتطبيقها عبر التواصل المجازي؟

من هنا، فان الحديث عن "التمكين" الذي منح تنظيم الدولة الاسلامية شكل الدولة الفعلية، قد تحول مع هذا التطور السياسي والامني الذي حققته الحكومة العراقية الى حديث عن الممكن الذي ستكون عليه داعش في ادارتها لشؤونها وتنظيماتها. وتبعا لذلك، فقد بات الفضاء المجازي بديلا عمليا وواقعيا عن الواقع الفيزيائي، واكتسب الحديث عن موقع واهمية الفضاء المجازي في سياسيات داعش لما بعد ووجودها على الارض في العراق اهمية كبيرة لتصور الشكل والكيفية التي ستدار فيها مقاليد الدولة وطبيعة الخطاب الذي ستنتجه خلال الفترة المقبلة.

من جانب اخر، قد يجد المتابع ان التنظيم هذا وفي مسيرة تحولاته من التنظيم الى الدولة كان يعتمد بشكل مباشر على الفضاء المجازي، حتى وكأن مصطلح "القرية العالمية الصغيرة" الذي أطلقه "ماكلوهان" في العام ١٩٦٤ في وصفه طبيعة المتغيرات في تكنولوجيا الاتصالات والتي بدت له في حينه بأنها ترسم العالم بأكمله ليصبح وكأنه مدينة صغيرة يتم ربطها الكترونيا؛ قد كان تنظيم الدولة الاسلامية واحد من اهم مصاديق التحول هذا والمستفيدين منه بشكل عملي، فقد استطاع ان يربط

عناصره واتباعه ومؤيديه بشكل كبير مستفيدا من خدمة الفضاء المجازي الخلاقة، وفي خطوة اكثر عملية عمد الى توظيف التنقيات التي افرزها التطور التكنولوجي الى عرض أفكاره وتصوراته واستخدامها كوسيلة اعلام عالمية ينشر فيها رسالته الفكرية "المتطرفة". وبالتالي فإن فكرة توظيف الفضاء المجازي في خدمة الاهداف التي يسعى اليها، لم تكن بالفكرة الجديدة على تنظيم الدولة.

ولما تقدم، ينتظم البحث في ثلاثة مباحث اضافة الى المقدمة والاستنتاجات، يشتمل المبحث الاول على كليات البحث وبيان الفرضية التي يسعى الى الاستدلال على صحتها عبر مباحثه اللاحقة، فيما يناقش المبحث الثاني الاطار النظري العام للبحث من خلال بيان النظرية الرئيسة التي يتبناها وطبيعة وشكل المؤسسة الاعلامية لتنظيم داعش وموقعيتها، فيما يسلط المبحث الثالث الضوء على طبيعة الخطاب الاعلامي في مرحلتين مختلفتين هما الواقع الفيزيائي والامكانات المجازية، ليخلص في الختام عبر مناقشة مفروزات تلك الاشكال والمقارنة فيما بينهما الى اهم الاستنتاجات.

المبحث الاول: منهجية البحث

مشكلة البحث:

يناقش البحث عبر مباحثه الثلاثة اشكالية الخطاب الاعلامي لتنظيم الدولة في مرحلتين مختلفتين تتمثل في مرحلة التمكين والسيطرة على واقع جغرافي محدد وهو ما اطلق عليه بالواقع الفيزيائي، ومرحلة الامكانات المجازية التي تحول فيها التنظيم الى وسائل التواصل الاجتماعي عبر الفضاء المجازي ليستمر في نقل رسالته والتواصل مع اتباعه ومؤيده، وبالتالي مقدار ما تفرضه هاتان المرحلتان على شكل الخطاب ومقدار التأثير في سبيل التراجع او التقدم في بنية الخطاب والياته.

وبالتالي فان البحث يعالج التحول في البنية السياسية والعسكرية للتنظيم وعلى طبيعة الخطاب، متقصيا المراحل التاريخية لوجوده، ومسلطا الضوء على مرحلة ما بعد فقدان المؤسسة الاعلامية التي كان يدريها او المادة الاعلامية التي كونتها الدولة عبر ممارساتها وسياساتها.

السؤال الرئيسي للبحث:

وعليه يمكن ان يمتحور السؤال الرئيسي لهذا البحث حول الاثار التي يمكن ان تتركها التحولات العسكرية على شكل الخطاب الاعلامي لداعش؟ وكيف ستكون طبيعة هذا الخطاب مع تحول قدرة التنظيم من الواقع الفيزيائي الى الفضاء المجازي؟

فرضية البحث:

وتكون الفرضية الاساسية لهذا البحث في ان طبيعة الخطاب الاعلامي لتنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام "داعش" لن يتأثر سلبيا مع فقدان الامكانيات المؤسسية التي وفرتها الدولة، وقد يشهد تطورا في مفرداته من خلال تركيز اهتماماته على وسائل التواصل الاجتماعي في عرض وصياغة خطابه العام، والعمل على تجاوز التمكين الفيزيائي في الارض الى امكانات الفضاء المجازي بوصفها اسلوب الادارة والتواصل الجديد مع اتباع التنظيم وانصاره.

أهمية البحث:

ان اهمية البحث تأتي من رصد ديناميكية التغيرات التي طرأت على طبيعة الخطاب الاعلامي لهذا التنظيم في فتراته المختلفة: في مرحلة التنظيم، وفي مرحلة نشوء الاستحواذ على الارض وتشكيل دولة الخلافة، ومرحلة مابعد الدولة وما يمكن ان يكون عليه في المستقبل. وهنا تكمن اهمية رصد المختلف او الجديد الذي يمكن ان يكون عليه هذا الخطاب مع فقدان المؤسسة الاعلامية في فضائها الفيزيائي وفقدان المادة الاعلامية التي كانت متوفرة مع وجود دولة وحدود ومؤسسات، وبالتالي فان هذه الهواجس وسواها تتحرك حول مواضيع عديدة مع انتقال داعش من مرحلة التمكين[١]، وعودته الى نقطة الصفر فيما يتعلق بقدرته على الارض، وتحوله الى زمان الفضاء المجازي الذي تتحدد فيه الامكانيات بتحقيق حلم التوسع الميداني (الفيزيائي) مع ما تتوفر فيه من قدرة تواصل هائلة.

ومع الاقرار بحقيقة ان داعش –سواء كان تنظيما او دولة– لا يمكن ان ينتهي مع خيارات الحسم العسكري والسياسي، وان ثمة وجود على مستوى الأفكار والاعتقادات، فان شكل الحرب ما بعد دولة الخلافة كما يتصورها العديد من الباحثين هي المواجهة السياسية والثقافية والاخلاقية والقدرة على بناء توازن على مستوى الفكر يعزز من مفاهيم الاعتدال ويركز عليها بوصفها خطوة لمواجهة التطرف الذي تستبطنه النصوص والمعتقدات التي يرتكز عليها داعش[٢]، وبالتالي فان ساحة المواجهة المفترضة مع داعش هي في ميدان الفضاء المجازي. ما يعني ان تركيز الاهتمام على الفضاء المجازي في مرحلة ما بعد الحسم العسكري لداعش تكتسب اهمية لدى التنظيم ومعارضيه على حد سواء. وهو ما يدعو الى تسليط الضوء بشكل عملي على خطوات التنظيم اللاحقة في تكوين خطابه.

---

[١] **ناجي، ابوبكر، ادارة التوحش، (حلب: دار التمرد، بدون تاريخ)، ص٤١.**

[٢] **مناع، هيثم، خلافة داعش، (كوبنهاكن: مؤسسه بيسان، ٢٠١٥)، ص٧–٨.**

وعلى الرغم من فقدانه امكانيات المؤسسة وطبيعة المادة الاعلامية، ستتأثر مع تحوله الى الفضاء المجازي بشكل ايجابي في تطوير الخطاب والاهتمام بمفرداته وتوظيف حالات الصراع او تجربة دولة الخلافة التي اقامها بشكل "مثالي" في مفردات خطابه، ما يعني ان تحول التنظيم من الفضاء الفزيائي الى الفضاء المجازي سيرافقه تغييرا –ايجابيا بالنسبة له– في طبيعة الخطاب الاعلامي، وان حضور داعش العقائدي والفكري سيزداد اهمية في الايام المقبلة داخل منظومة الفضاء المجازي.

اهداف البحث:

- يهدف البحث بصورة رئيسة رصد تحولات الخطاب في مراحله المختلفة لاثبات طبيعة التحولات الجذرية على الصعيد السياسي والامني التي انهارت بموجبها دولة الخلافة منتصف عام ٢٠١٧.
- يهدف الى معرفة مدى استفادة الخطاب في فضاءه المجازي من تجربة الدولة خلال السنوات التي اطلق عليها بـ"التمكين" وامكانية توظيف هذا المعطى المهم في عمر التنظيم لخدمة الاهداف اللاحقة على الفضاء المجازي.
- يهدف البحث بيان تأثير انهيار المؤسسة الاعلامية بشكلها الواقعي كمؤسسة فعلية لها قوام واقعي وعودتها الى حالتها التنظيمية الاولى في الفضاء المجازي ومقدار توظيف المعطيات الخبرية والاعلامية التي كانت تستقها من واقعها اليومي المعاش او اهدافها المنشودة.
- كذلك يهدف البحث الى بيان مستقبل الخطاب الاعلامي لداعش
- وبالخلاصة، يتمحور الهدف الرئيس للبحث حول بيان التفاوت بين حالتين رئيستين في عمر التنظيم هي حالة التمكين الفيزيائي وحالة الامكانات المجازية، والمقارنة فيما بينهما.

نوع الدراسة ومنهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي، حيث تقوم الدراسات الوصفية بتحقيق هدف اساسي مؤداه رصد الواقع كما هو، او الاضطلاع بمهمة اساسية هي الاجابة عن تساؤل مؤداه ماذا يحدث وكيف يحدث وهما تساؤلان يهدفان الى وصف الظاهرة كما تحدث في الواقع الفعلي لها. وبذلك يمثل هذا المنهج ضرورة لا مناص من الاعتماد عليه ولا غنى عنه لامداده بالكثير من المعلومات والبيانات الاولية الهامة

وخاصة للظاهرات التي لم يسبق تناولها من قبل بالاضافة لدراسة المشكلات التي تهم قطاعات كبيرة من المجتمع[١].

وتقوم الدراسة عبر هذا المنهج في تحليل ومقارنة اشكال الخطاب المختلفة قبل وبعد متغير الدولة، حيث تحاول بعض الدراسات الوصفية الا تقتصر على الكشف عن ماهية الظاهرة ولكن كيف ولماذا تحدث. فهي على وفق ذلك تقارن جوانب التشابه والاختلاف بين الظاهر لكي تكشف عن اي العوامل او الظروف يبدو انها تصاحب احداثا او ظروفا او عمليات او ممارسات معينة[٢].

حدود البحث:

يتكون مجتمع الدراسة والبحث من عينات المخرجات الاعلامية لتنظيم الدولة الاسلامية "داعش" في مراحله المختلفة، والتي تمثل جزء الخطاب الاعلامي الرئيسي لهذا التنظيم، كما ان الحدود الفعلية للبحث تكون عبر مرحلتين مختلفتين الاولى المرحلة التي اطلقنا عليها بـ"التمكين" وهي مشتقة من ادبيات التنظيم التي وصف فيها القيادي بالتنظيم ابو بكر ناجي في كتابه "ادارة التوحش" احدى المراحل المهمة من عمر التنظيم وهي السيطرة على الارض، وبالتالي تكون هذه المرحلة التي نطلق عليه بـ"التمكين الفيزيائي" اي احكام السيطرة على واقع جغرافي ملموس واقامة دولة تعمل على صناعة خطاب يمثل طبيعة المؤسسة ومخرجاتها بما تحمله من ادبيات وخلفيات فقهية دينية وسياسية ورؤية اجتماعية وثقافية، والمرحلة الاخرى وهي ما اطلقنا عليه مرحلة "الامكانات المجازية" اي التحول نحو وسائل التواصل الاجتماعي والعودة الى المرحلة الاولى ما قبل الدولة، وبالتالي تكون حدود البحث ضمن هذين المرحلتين: مرحلة نشوء دولة الخلافة عام ٢٠١٤ وحتى نهاية الدولة ٢٠١٧ ومرحلة ما بعد العام ٢٠١٧.

المبحث الثاني: التأصيل النظري لمنهج البحث وموضوعه

يعتمد البحث بصورة رئيسة منهج تحليل الخطاب النقدي للانكليزي نورمان فركلاف في قراءة الخطاب الاعلامي لتنظيم "داعش"، لذا يقوم المبحث على قسمين: الاول يعني ببيان منهج الدراسة والذي يقوم على الية خاصة في توصيف شكل الخطاب وشرح وتحليل البنية اللغوية والروابط الخاصة بها والمفروزة عنها وبيان التفاعل والعلاقة ضمن السياق الاجتماعي المولد لذلك الخطاب. فيما يعني القسم الآخر

---

[١] القليني، سوزان، مناهج البحث الاعلامي، (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠١٥) ص٤٦.

[٢] المصدر نفسه، ص٥٣.

ببيان طبيعة المؤسسة الاعلامية وتكويناتها في ادبيات وسياسات تنظيم داعش ممثلا بدولة الخلافة التي أُعلن عنها منتصف ٢٠١٤ وهي تمثل التطبيق لرؤية التنظيم في تكوين المؤسسة الاعلامية التي انتجت شكل الخطاب الاعلامي خلال تلك الفترة والتي ستعمل –دون شك– على انتاج الخطاب بشكله الآخر بعد الاعلان عن نهاية الدولة المفترضة عام ٢٠١٧.

اولا: المباني النظرية لتحليل الخطاب النقدي:

يرى نورمان فركلاف في الخطاب مجموعة متشابكة من ثلاثة عناصر هي الفعل الاجتماعي والفعل الخطابي (انتاج النص وتوزيعه واستهلاكه) والنص، وعلى النحو هذا فتحليل خطاب معين يتطلب تحليل كل من الابعاد الثلاثة انفة الذكر ومنظومة العلاقات الموجودة فيما بينها، وان ثمة علاقة ذات دلالة ومغزى بين الخصائص المحددة للنصوص التي تربط بعضها البعض وطبيعة الفعل الاجتماعي[١]. والخطاب على النحو هذا يمثل شكلا مهم من اشكال الممارسة الاجتماعية يعيد انتاج المعرفة والهويات والعلاقات الاجتماعية بما في ذلك علاقات السلطة ويغيرها في آن واحد. وهو في القوت ذاته مُشكل ايضا من خلال ممارسات اجتماعية وابنية اخرى[٢].

وبصورة عامة، وحسب وجهة نظر فركلاف يعد الخطاب بمثابة فعل اجتماعي، وهو يساهم في بناء الهويات الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية، وانظمة المعرفة والدلالة[٣] وبذلك تكون للخطاب وظائف ثلاث: وظيفة تحديد الهوية، ووظيفة "علاقية" ووظيفة "فكرية"[٤] لذا فان ثمة ارتباط وثيق بين الخطاب وجملة مفاهيم "رئيسية" يمثل تحديد الغايات فيها كشفا وتحديدا لهوية الخطاب واهدافه، منها: السلطة، الايديولوجيا، اللغة، القوة والقدرة على تطبيع الايديولوجيا وصلة ذلك بالمنطق السليم والفهم المشترك وغيرها[٥].

---

[١] فركلاف، نورمن، تحليل انتقادي گفتمان (تحليل الخطاب النقدي)، ترجمه فاطمه شايسته بيران، (تهران: مركز مطالعات وتحقيقات رسانه، ١٣٩٠(٢٠١١)، ص٨٩.

[٢] لورغنسن، ماريان، وفيليبس، لويز، تحليل الخطاب.. النظرية والمنهج، ترجمة: شوقي بوعناني، (المنامة، هيئة البحرين للثقافة والاثار، ٢٠١٩)، ص١٣٢.

[٣] لورغنسن وفيليبس، مصدر سابق، ص١٣٥.

[٤] المصدر نفسه، ص١٣٦.

[٥] فاركلوف، نورمان، تحليل الخطاب.. التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩).

وحيث تختلف منظومة تحليل الخطابات عن بعضها بعضها البعض في جملة محددات، فان ثمة مشترك يؤشره فركلاف للخطاب بوصفه شكلا للممارسة الاجتماعية مؤداه ان الخطاب مُكوِّن ومُكوَّن في آن واحد، فهو يرى فيه مُكوِّن للعالم الاجتماعي ومُكوَّن من ممارسات اجتماعية اخرى. والخطاب باعتباره ممارسة اجتماعية كما جرت الاشارة فهو ذو علاقة جدلية مع الابعاد الاجتماعية الاخرى ولا يساهم في الابنية الاجماعية واعادة تشكيلها فحسب ولكنه يعكسها ايضا[١]. وان التحليل النقدي للخطاب هو "نقدي" بمعنى انه يهدف الى الكشف عن دور الممارسات الخطابية في الحفاظ على العالم الاجتماعي، بما في ذلك تلك العلاقات الاجتماعية التي تنطوي على علاقات غير متكافئة للسلطة. ان هدفه هو المساهمة في التغيير الاجتماعي باتجاه علاقات اكثر عدلا للسلطة في عمليات التواصل وفي المجتمع عموما[٢]. وان الهدف الاساس للتحليل النقدي للخطاب هو الكسف عن الروابط بين استعمال اللغة والممارسة الاجتماعية. وينصب التركيز على دور الممارسات الخطابية في الحفاظ على النظام الاجتماعي وفي التغيير الاجتماعي[٣].

وعلى ذلك فان تحليل الخطاب النقدي لدى فركلاف يتكون من: تحليل النص، وتحليل عمليات إنتاج النص وتوزيعه واستهلاكه، والسياق الاجتماعي والثقافي لاحداث الخطاب ككل، فهو يرى في أمثلة الاستعمالات اللغوية أحداث تواصلية تتكون من ثلاثة ابعاد، فأي استعمال منها: هو نص (كلام او كتابة او صور مرئية او مركب منها)، وهو ممارسة خطابية تشمل انتاج النص واستهلاكه، وهو ممارسة اجتماعية. ويمثل منهج منوال فركلاف هذا اطارا تحليليا للبحث الاختباري في التواصل والمجتمع. والابعاد الثلاثة جميعها لابد من تغطيتها في تحليل معين للخطاب خاص بحدث تواصلي. ولابد من ان يركز التحليل بذلك على: (١) السمات اللغوية للنص (٢) عمليات متعلقة بانتاج النص واستهلاكه (الممارسة الخطابية) و(٣) الممارسة الاجتماعية الاشمل التي ينتمي اليها الحدث التواصلي (الممارسة الاجتماعية) [٤].

فالخطابات والاجناس التي وقع الجمع بينها لانتاج النص، والتي يعتمد عليها متقبلوه في التأويل، بحسب ما يرى فركلاف فإن لها بنية لغوية مخصوصة تشكل كلا من انتاج واستهلاكه، وبذلك يشتمل تحليل الحدث التواصلي على:

---

[١] لورغنسن وفيليبس، مصدر سابق، ص١٢٦.

[٢] المصدر نفسه، ص١٢٩.

[٣] المصدر نفسه، ص١٤١.

[٤] لورغنسن وفيليبس، مصدر سابق، ص١٣٩.

- تحليل الخطابات والاجناس التي وقع الجمع بينها في انتاج النص واستهلاكه (مستوى الممارسة الخطابية)،
- وتحليل البنية اللغوية (مستوى النص)،
- واعتبارات تتعلق بما اذا كانت الممارسة الخطابية تعيد انتاج نظام الخطاب القائم او بدلا من ذلك تعيد هيكلته، وبماهية التبعات التي تكون لذلك بالنسبة الى الممارسة الاجتماعية الشاملة (مستوى الممارسة الاجتماعية) [١].

وفي مقابل ذلك، تكون عمليات تحليل الخطاب على وفق المستويات الثلاثة المشار اليها:

- المرحلة الخاصة بالخصائص الشكلية للنص مثل المفردات، قواعد اللغة، وإدراك معلومات النص والتي يطلق عليها بـ"مرحلة الوصف"، وفيها يحدد فركلاف قيم وخصاص شكلية (القيمة الخبراتية، والعلائقية، والتعبيرية)، ويعتقد بوجود علاقة بين هذه القيم وجوانب الفعل الاجتماعي التي قد تكون محدودة (المضمون، والعلاقات، والذوات) والآثار البنائية (المعتقدات، العلاقات الاجتماعية والهوية الاجتماعية)[٢].
- مرحلة انتاج النص واستخدامه والتي يطلق عليها بـ"مرحلة التفسير"، فهدف التحليل النقدي للخطاب يتمثل في تسليط الضوء على البعد اللغوي الخطابي للظواهر وعلى عمليات التغيير الاجتماعية والثقافية في الحداثة المتاخرة[٣]، والتفسير وفقا لفركلاف يولد من خلال الجمع بين ما في النص وما في داخل ذهنية المفسّر التي تمثل الخلفية المعرفية التي يتمّ إستخدامها في تفسير النص. وان المفسر يَعدُ الخصائص الشكلية للنص كالقرائن التي تعمل على تنشيط عناصر الخلفية المعرفية في داخل المفسر وهي ناتج الارتباط الديالكتيكي للقرائن والخلفية المعرفية للمفسر [٤].
- المرحلة الثالثة والتي يطلق عليها بـ"مرحلة الشرح" وتختص بالعلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي أي كيف تتأثر عمليتي الإنتاج والتفسير بالتحكم الاجتماعي، ويتناول هذا المستوى شرح أسباب إنتاج النص من بين الإمكانيات المتوفرة في تلك اللغة، لإنتاج نص مرتبط بالعوامل الاجتماعية والتاريخية والخطابية والايديولوجية والسلطة والعقود والمعرفة الثقافية الاجتماعية.

---

[١] المصدر نفسه، ص١٤١.

[٢] فركلاف، ١٣٩٠، مصدر سابق، ص١٧١-١٧٢.

[٣] لورغنسن وفيليبس، مصدر سابق، ص١٢٥.

[٤] فركلاف، ١٣٩٠، مصدر سابق، ص٢١٥.

وفي مستوى اخر قد تكون الغاية من وصف الخطاب كجزء من عملية اجتماعية، وهنا تبين المرحلة كيف تساهم السياقات الاجتماعية في تحديد شكل الخطاب بوصفه فعل اجتماعي، وما هو تفاعل اعادة الانتاج والتغيير بوصفه "مكوَّن ومكوِّن"، وحيث ان "المعرفة المسبقة او الخلفية" تمثل الوسيط بين السياق الاجتماعي والتفاعل، ما يعني ان السياقات الاجتماعية تعطي شكلا للمعرفة المسبقة وهي بدورها تشكل الخطاب وبالتالي تؤثر الخطابات على السياقات ايضا من خلال الحفاظ على المعرفة تلك او تغييرها[١].

ثانيا: المؤسسة الاعلامية وأهميتها لداعش:

يرى فركلاف كما سلفت الاشارة– أن الممارسة الخطابية تتأثر بالقوى المجتمعية التي ليس لها طابع خطابي صرف مثل النظام السياسي والبيئة المؤسسية لوسائل الاعلام[٢]. وحيث ان الخطاب هو عملية تكوين وتأثر، فان ضرورة بيان المؤسسة التي تعمل على انتاج الخطاب تمثل اهمية لذاتها ولموقعيتها في ادبيات الكيان والنظام السياسي المولّد للخطاب.

وهنا يمكن أن نتقصى موقعيا المؤسسة الاعلامية لدى تنظيم داعش موضوع الدراسة واهميته بالنسبة له، سواء في مرحلة ما قبل تشكيل "دولة الخلافة" عام ٢٠١٤ او مع قيام تلك الدولة، او حتى بعد الاعلان عن نهايتها عام ٢٠١٧. وهي مراحل قد تتنوع من حيث الممارسة وسعة المادة الخبرية او ما يمكن ان نطلق عليه "وفرة النص" غير انها تشترك في وضع "استراتيجية طوارئ" في التعامل مع المتغير المفترض الذي لازم الدولة وعكس قلق الوجود السياسي وكشف عن اسلوب الابقاء على ضبابية وجود المؤسسة الاعلامية باعتبارها الركن الرئيس في هذا التنظيم والتي اختزلت في مرحلة ما بعد ٢٠١٧ فعاليات التنظيم والدولة وكرست لحظة الماضي القريب والواقع الامني والتنظيمي.

فالاهتمام المتزايد للمؤسسة الاعلامية لداعش يكشف حجم ما تحتلته هذه المسألة في ادبياته، واهميته بالنسبة له، فهو ومن خلال تلك المؤسسات، سواء الرسمية أو الرديفة (المناصرة له) استطاع ان يصنع الصورة الخاصة لوجوده، وأن يشكلها بالنحو الذي يرغب ويتوافق مع اهدافه وتجربته في ادارة الدولة، ذلك ان مساحة التغطية التي تعني بها وسائله الاعلامية هي مساحة خاصة ومغلقة عليه دون غيره، حيث لا يسمح لوسائل الاعلام خارج منظومته ان تنقل اخبار الارض التي يسيطر عليها والسياسات التي يقوم بها، وبالتالي ملثت قنوات داعش الرسمية والرديفة المصدر الحصري لجميع الاخبار المتعلقة به ودولته.

---

[١] **المصدر نفسه، ص٢٤٥.**

[٢] **لورغنسن وفيليبس، مصدر سابق، ص١٢٦.**

واذا ما شاءت وسائل الاعلام الاخرى ان تأخذ الرأي المقابل، فهي تلجأ الى تصريحات الحكومات الرسمية، والتي تعتمد على مصادر خاصة وعيون وشهادات من داخل الارض التي يسيطر عليها داعش، وهو ما لا يمكن بأي شكل الاستدلال على صحة ما تفيده.

لذلك، فان استراتيجية داعش الاعلامية، كانت محكمة ودقيقة –الى حد كبير– في اختيار طبيعة مخطابيها، والية خطابها، وكيفية ذلك الخطاب ومقدار تأثيره في المجتمع. حيث سعى التنظيم الى تنفيذ تلك الاستراتيجية عبر استخدام وسائل الاعلام التقليدية، لتشكل مع الوسائل الاعلامية الحديثة اساسا لتعزيز هجماته وتنويعها وتحقيق انتصارات دعائية، ما شكل داعمًا مهمًّا لعملياته العسكرية. وبالمحصلة، استطاع ان يوظف الاعلام في خدمة مختلف المجالات الاخرى سواء العسكرية منها، او التبليغية فيما يتعلق بنشر ادبياته الدينية، او مختلف الرسائل التي يريد ايصالها للعالم.

وفي عملية رصد أولي لطبيعة التنوع يمكن الاشارة طبيعة الخطاب الذي تبناه داعش والاليات المنوعة الموجهة التي اعتمدها في بداياته وبعد تشكيل دولته الفعلية في سوريا والعراق لجذب المتطوعين تتنوع بحسب المخاطب، كما يمكن تفسير استخدامه اللغة الانكليزية مثلا لمحاولة نشر أفكاره بصورة عالمية، او السعي الى تركيز منطق فهم الاختلاف والتأكيد على القضايا التاريخية موضع الخلاف في استخدام خطابه المحلي، وهو بالنهاية ينوع في خطابه باستمرار بحسب الفئة المستهدفة في ايصال رسائله.

وقد اتضحت معالم السياسة الاعلامية لداعش بعد تشكيله دولته، حيث بدا التحول في طبيعة الخطاب الذي بقي يرتكز على الفضاء المجازي بشكل رئيس، من التركيز على جذب المتطوعين ونشر الفكر الذي يؤمنون به والذي ساعدهم في ذلك تأسيس "مركز الحياة الإعلامي" الذي يُعد الذراع الإعلامي الاول لتنظيم الدولة الإسلامية المعني بالدعاية في الغرب[1]، والتركيز على طبيعة سياسات الدولة الاسلامية وما تحقق فيها بوصفه مزيجا من الوقائع (الحقيقة والملفقة) والاحلام التي يمنى المؤمنون بالدولة الاسلامية في تحقيقها على الارض، وهو ما ساعد بشكل وآخر في تحقيق الهدفين الاساسيين ما قبل تشكيل الدولة على الارض، ولكن بأساليب باتت اكثر ترغيبا، وما يمكن ملاحظته بوضوح ان داعش وحتى بعد فقدانه الارض فقد عمل على استثمار مساحة المرونة في آلية الخطاب الاعلامي الخاص به لتحقيق غايات مرحلية تصب في نفس الاهداف الاساسية المشار اليها.

---

[1] **منصور، تريزا، اعلام داعش: الوسائل والخطاب الدعائي والتنقيات، بيروت– مجلة الدفاع الوطني اللبناني (العدد ١٠٠، نيسان ٢٠١٧).**

تنظيما، يمتلك داعش هيكلا مؤسساتيا يعرف بأسم "وزارة الاعلام" بيد ان مساحة الفاعلية التي اضطلعت بها على الرغم من وجودها ضمن هيكلية الدولة الرسمية، هي التحكم في المؤسسات الافتراضية، حيث تدير تلك الوزارة وسائل اعلام فاعلة على شبكة الانترنت، في وقت رفضت قيادة التنظيم فكرة تأسيس الوزارة على أرض الواقع، خوفا من استهدافها من قبل الغارات الأميركية أو الجيش العراقي، فيما حظيت بموازنة قاربت على المليون دولار كميزانية تأسيسية من قبل زعيمها السابق "ابو بكر البغدادي"[١] والذي تولى زعامة الدولة قبل ان يقتل في ٢٧ اكتوبر/تشرين الاول ٢٠١٩ في غارة جوية امريكية في سوريا. كما ميزت تلك المؤسسة بين ادارة المواقع والمراكز الافتراضية وبين إعمال السياسيات وتنفيذها، ومن جملتها ضرورة استحصال الاذن الرسمي لإعطاء تصريحات اعلامية او إلزام كل من يعيش في المناطق التي يسيطر عليها التنظيم بعدم اللجوء أو المتابعة إلا لوسائلهم الإعلامية الخاصة.

كما أدارت وزارة الاعلام المشار اليها، موقعي "شبكة شموخ الإسلام" و"منتدى الاعتصام" اللذان يُعدان بمنزلة منابر رسمية "افتراضية" بالنسبة للتنظيم لغرض نشر البيانات الرسمية الخاصة به، وهو ما يؤكد الادراك الواضح للتنظيم والدولة المنبثقة عنه بعدم اهمية التشكيلات الواقعية على الارض ما دامت تحكم سيطرتها على المناطق التابعة لها خلال فترة ادارتها الدولة بالقوة وان لم تشكل مقبولية اجتماعية وتتحكم في مخرجات السياسات وهي من يعكس الصورة "النص" المراد تسويقه وتتحكم في طبيعة المخطابين، هذا من جانب ومن جانب اخر فان محورية الخطاب الذي تبتنه كان موجها نحو الخارج، فمن غير المنطقي ان تكرس الجهد لتسويق اهدافها وتوجيه خطابها نحو الداخل مع الاشارات انفة الذكر، وبالمحصلة فهي تسوق خطابا واحدا وشكلا خاصا بها يتصف بالمرونة نحو خدمة الاهداف الخاصة بها.

ومن جملة المؤسسات الاعلامية الرئيسية للتنظيم: "مؤسسة الفرقان" التي تعد الذراع الاساسي للتنظيم والتي انتجت جميع الكلمات والخطب الرسمية لزعيم الدولة "الخليفة" وجميع الكلمات الصوتية للمتحدث الرسمي ووزير الاعلام "ابومحمد العدناني"، و"مؤسسة الاعتصام" التي بثت معظم اصداراتها باللغات الاجنبية وهي عبارة عن رسائل موجهة بغلت اكثر من ٩٠ اصدار، و"مؤسسة اجناد"، و"مركز الحياة للاعلام". كما اشتملت المؤسسات الاعلامية المناصرة للتنظيم: "مؤسسة البتار"، و"مؤسسة الخلافة" ومن اشهر اصداراتها "عين الاسلام/٢". كما تشتمل المؤسسة الاعلامية على اذاعة البيان التي بثت من مدينة الموصل، وقناة الخلافة التي اعلنت عنها وتم الترويج لتسعة برامج لم تظهر افرادا مكشوفي الوجه باستثناء الصحفي البريطاني الاسير "جون كانتلي" و"خالد الغريب". بالاضافة الى مجلة "دابق" التي

---

[١] **منصور، مصدر سابق.**

صدرت باللغة الانكليزية وجرى ترجمة العديد من اعدادها الى اللغات العربية والتركية والفرنسية، وكذلك مجلة "القسطنطينية" التي صدرت باللغة التركية.

المبحث الثالث: تحليل الخطاب الاعلامي لداعش

اولا: مقدمة في عناصر تشكيل الخطاب لدى داعش

على الرغم من تغيير وتطور اشكال الرؤية للجماعات الاسلامية المتطرفة في العراق فيما يتعلق بضرورة تكوين الدولة، والتي بدأت مطلع القرن العشرين مع ابي مصعب الزرقاوي (١٩٦٦-٢٠٠٦) وابي عمر البغدادي(١٩٥٩-٢٠١٠) ابتداء من "مجلس شورى المجاهدين في العراق" عام ٢٠٠٦ ومن ثم "الدولة العراق الاسلامية" في العام نفسه وصولا الى "الدولة الاسلامية في العراق والشام" او ما يعرف بـ"داعش" عام ٢٠١٣، وعلى الرغم من حجم التطور التنظيمي بيد ان الحاجة الى تأسيس خطاب جديد يتماشى مع الهدف المنشود في اقامة الدولة ظل مرافقا لفكرة التطور تلك وطبيعة التغيرات، وحيث ان الخطاب ممارسة اجتماعية فان تحولات الرؤية تفرز خطابا يناسب اهدافها المعلنة والمضمرة في كل مرحلة.

من هنا تحوّل الخطاب إلى هدف تحرص الدولة الاسلامية بنسختها الجديدة "دولة الخلافة" عليه، ومن خلاله تسعى إلى تحقيق الهدف المنشود، مع ذلك فأنّ لغة الخطاب كانت انعكاسا للخصائص الاجتماعية لانماط العلاقات والسياسات التي اقامها التنظيم، لذا امكن القول أن الخطاب في مرحلة ما بعد الزرقاوي اصبح وسيلة للإنتاج وأعادة إنتاج السلطة وإقامة علاقات اجتماعية لممارسة تلك السلطة ونقلها والتحكم في مجرياتها، وهو يندرج ضمن سياقات اعادة تشكيل السلطة بصورة عامة[١].

ان تنظيم داعش الذي مثّل المرحلة المتقدمة لأفكار الزرقاوي وابوعمر البغدادي في ضوء الظروف الاجتماعية، بدأ في تحديد مستوى أوسع نطاقاً لأرضيتة وشكل آخر لقبول خطابه وفي هذا الإطار قام بعملية تحويل قطاعات واسعة من شرائح المجتمع العراقي (كالشيعة بمختلف طوائفها والمسيح والشبك والايزيدين والتركمان) الى اعداء فعليين، غير ان الشيعة اصبحوا العدو الاول والابرز[٢]. وبهذه الطريقة

---

[١] بغورة، الزواوي، بين اللغة والخطاب والمجتمع.. مقاربة فلسفية اجتماعية، الجزائر- مجلة إنسانيات، (العددان ١٧ و١٨ لسنة ٢٠٠٢) ص٣٣-٥٧.

[٢] للمزيد يراجع: الهاشمي، هشام، تنظيم داعش من الداخل، (لندن: دار الحكمة، ٢٠١٦)، ص٨٣ فما بعد.

استطاع هذا التنظيم توظيف عنصر التاريخ كجزء من تشكيل خطاب ينطوي على مصالح سياسية، وذلك بايجاد تفسير وحلول للتاريخ وجدالاته السياسية والاجتماعية والدينية لاثبات احقية جزء معين من المجتمع في محاولة لاستمالة هذه الطيف وكسب تأييده مستغلا تداعيات الصراع الطائفي الذي كانت التنظيمات المتطرفة جزءا مهما في اذكائه عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧.

وعليه، يمكن الاشارة الى ان تنظيم داعش بوصفه خلاصة ما توصل اليه التنظيم المتطرف في العراق، قد دخل مرحلة جديدة في التعامل مع النص والذي وضعه بين دفتي "التاريخ" و"النفعية"، فقد تمكن من اعادة قراءة النصوص وتشكيلها بانتقائية عالية تمثل غاياته "النفعية" في الوصول الى اهدافه عبر تحديد انموذج العدو واللعب على اوتار المفارقات الاجتماعية التي تشكلت بعد العام ٢٠٠٣، وهو ما تمكن من خلاله من استقطاب قطاعات كبيرة من المنتمين الى حزب البعث والسلفيين وعدد ليس بالقليل من ابناء السنة وحتى من بعض الشرائح غير المتدينة[١].

وحيث يتضمن الخطاب بحسب تحليل فركلاف، النص والمعرفة الاجتماعية لإنتاج النص وتفسيره، وان المعرفة الاجتماعية تلك قد ترتبط بمستويات مختلفة في فضاء العلاقات المؤثرة، تتمثل في البنى الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والاحداث الاجتماعية[٢] وبالتالي نحن امام نسيج اجتماعي يؤثر في طبيعة الخطاب كما يتأثر الخطاب على النحو ذاته بالظروف الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية والمجتمع ذاته. من هنا، فان ادراك داعش لاهمية اعادة قراءة التاريخ تنبع من فهم لطبيعة ادراك المجتمع ورغبته فيما يعضد موقفه المختلف ويؤكد مبدأ المنفعة، فعلى الرغم من وجود اختلاف وجدل واسع في انتساب الكثير من النصوص المؤسسة لخطاب داعش الى كتب اهل السنة المعتبرة، بيد ان عنصر الادراك الاجتماعي لاعادة صياغة النصوص وتفسيرها على اساس اراء التنظيم المتشدد المتساوقة مع الرغبة الاجتماعية وطبيعة العلاقات الاجتماعية هو ما يدعم صياغة الخطاب في ادارة دولة الخلافة الواقعية والمفترضة. لذا فإن تفسير النصوص والخطاب الناتج عن ذلك يمثل فعل إجتماعي يفرضه نظام داعش الاجتماعي وإن الهدف من وراء ذلك نشر معتقدات التنظيم وتعزيز أنظمته.

ثانيا: شكل الخطاب وتحليله في الواقع الفيزيائي:

---

[١] **للمزيد: الهاشمي، مصدر سابق، ص٤١-٤٣.**

[٢] **فاركلاف، مصدر سابق، ص٨٣.**

على وفق الخصائص التي يتمتع بها الواقع الفيزيائي، بأن يكون الحدث ضمن حدوده الزمانية، فأن خطاب تنظيم داعش يبدو محدودا بجملة الوقائع الحاصلة على الارض، وهنا تنعكس طبيعة البيئة الواقعية لهذا التنظيم على كيفية الخطاب المفترض، وتحدد مساراته بشكل اجباري. لذا فان كيفية الخطاب ومخرجاته في الواقع تبدو اقرب الى توصيف الحقائق والتعامل مع الازمات، واتخاذ اساليب تبعا لذلك تتمثل في سياسات الدولة.

من هنا، فان تنظيم داعش لم يكن ليولي اهتماماته بصياغة خطاب متقدم في الواقع الفيزيائي، حيث ان سلطة الدولة البوليسية، وطبيعة السياسات القهرية وانعدام الحريات والحكم بالنصوص المغلقة وتحكيم الشرائع المتطرفة في السياسة، لم تدع مجالا لعدم تقبل الرؤية المطروحة، وبالتالي فان عنصر الجدل الذي يمكن ان يحرك الخطاب ويعمل على تناميه يبدو مفقودا، لذلك كان خطابا موجها واحاديا بشكله الظاهر، ومقاصده التي يعنها مصدر الخطاب، وطبيعة تعاطي الجمهور معه بوصفه تشكيلا للمجتمع.

واذا اردنا ان نستعرض تاريخيا، طبيعة التحول في بيئات مختلفة من العمل الجغرافي، سنتمكن بوضوح الاشارة الى ان التعامل مع الواقع بالادوات التقليدية بما فيها الدعائية والنفسية، لم يكن يخدم استراتيجية التنظيم في مراحله الاولى، ما دعا التنظيم الى التحول الى الفضاء المجازي الذي تكون فيه قدرة التنظيم مفتوحة في تشكيل صورة الخطاب وصياغته بالنحو الذي يخدم الاهداف. فقد شكل تنظيم داعش مرحلة جديدة مع التنظيمات الجهادية التقليدية الاخرى بتحوله من تنظيم سري "مليشيوي" صغير إلى شبه دولة كاملة المقومات التقليدية: الحدود والأرض والسكان والسيادة، فكذلك إعلام تنظيم تلك الدولة شكل هو الآخر تحولاً جديدًا نوعيًا وكميًا في إعلام التنظيمات الجهادية؛ فمنذ انطلاق الظاهرة الجهادية مع العرب الأفغان خلال ثمانينيات القرن الماضي كان الإعلام الموازي لها لا يتعدى شرائط فيديو رديئة التصوير قام بتسجيلها هواة من المصورين لبعض العمليات القتالية تارة، وتارة أخرى ضحايا الاجتياح والقصف السوفيتي للمدنيين الأفغان. ولكن مع الدولة الاسلامية سعى التنظيم الى الاستفادة القصوى من تنقيات التسجيل واستخدام الدلالات من خلال انتقاء العبارات وتركيزها، وكذلك توظيف الالوان ومدلولاتها كالاسود، ومثله الفضاء العام الذي يعطي رسالة التحدي والصبر كالصحراء، وشكل وهيئة المقاتلين التي تستند الى معطيات تاريخية ودينية، والتركيز على الحوادث التاريخية المنتخبة على وفق ما يريده التنظيم، وكذلك اعطاء المسميات والألقاب والاوصاف اسماء توحي بامتدادها مع العصور الاسلامية. اذ يشير بعض الباحثين الى ان "اصدارات داعش تفيض بالكثير من الأيقونات والرموز والعلامات التي أصبحت مثل ماركة مسجلة أو بصمة مُميِّزة لهذا التنظيم أهمها: عَلَم داعش الأسود المسمى بـ"راية العقاب"، اذ

يسعى داعش من نشر هذا العلم والتركيز عليه وتكرار تصويره في كل إصداراته إلى الإشارة أن هذا العلم سيسود باقي دول المنطقة والعالم وسيحرق باقي الأعلام "الكفرية". كما ان اعتماد تقنية التكرار تهدف هي الاخرى إلى ترسيخ فكرة وشعار دولة داعش: "باقية وتتمدد" مع ترسيخ الرعب والخوف في وعي وذاكرة خصوم الدولة قبل مؤيديها حتى يتراجعوا أو يهربوا خوفًا من التنظيم وبدون قتال، كما حدث في مدينة الموصل حين انسحبت القوات النظامية قبل ساعات من وصول قوات داعش إلى المدينة وبدون قتال تحت تأثير الخوف بمفعول هذه الدعاية المؤثرة[١].

اضافة الى ذلك، فان داعش قد شخص بشكل عام طبيعة المخاطب فيزيائيا، لذلك ركز على عوامل الاختلاف المذهبي وتفعيل اشكال الجدال التاريخي ومحاولة بعث روح السيطرة وعودة الامجاد عند الفئات المخاطبة.

كذلك فقد احرز هذا البناء العقائدي للخطاب الاعلامي تشكيل وعي جديد قائم على ثقافة الاختلاف، وتكفير الاخر، بوصفه ناتج طبيعي لجملة معطيات تاريخية وعقائدية يسوقها التنظيم. وبالتالي فان طبيعة الخطاب الاعلامي في الواقع الفيزيائي لداعش كان يتمركز حول هدفين: الاول اظهار صورة الرعب وتسويقها لامكانية احراز تقدم يفوق القدرة الفعلية، والثاني تشكيل الوعي بالاختلاف التاريخي بين المكونات، واظهار عدم احقية الاخر بالوجود وتحديد الاخر على وفق منطق ايديولوجي.

ثالثا: شكل الخطاب وتحليله في الفضاء المجازي:

لاشك ان الملاحظة الاهم في دولة داعش هي اهتمامه المبكر بالجانب الإعلامي عبر الفضاء المجازي؛ فمنذ ظهور أول نواة لهذا التنظيم والتي سميت "جماعة التوحيد والجهاد" أسس هذا التنظيم موقعًا على شبكة الإنترنت يحمل اسم "منبر التوحيد والجهاد" الذي يُعتبر من أول المواقع المتطرفة والتي لا تزال تعمل إلى اليوم، فقد عمد داعش إلى استخدام خطة استراتيجية معقدة للدعاية تزامناً مع حضوره في ساحات المعركة في سوريا وشمال العراق[٢]. حتى باتت الاستفادة من طبيعة التكنولوجيا الحديثة في الفضاء المجازي، والحضور المميز في وسائل التواصل الاجماعي والفضاء المجازي، من الاكثر الامور اهمية في بحث بقاء وفاعلية التنظيم لاسيما بعد فقدان التنظيم امكاناته على الواقع الفيزيائي وتحوله الى

---

[١] ابو زره، عبد الحميد، الصورة والرمز في اعلام داعش، مجلة "ن بوست" المغربية، ٢٠١٥، على الموقع الالكتروني: https://www.noonpost.org/content/6189.

[٢] ارشيد، فيصل، كيف يستخدم داعش الانترنيت في الترويج لنفسه، مقال منشور على موقع "بي بي سي العربية" في ٢٠١٤/٦/١٩: https://www.bbc.com/arabic/middleeast/.

الفضاء المجازي، فهو موضوع اهتمام الجهود الدولية التي اصبح مهددا لأمنها الوطني وباتت عاجزة الى حد كبير عن مواجهة هذا نفوذ التنظيم المجازي او الحد منه، ويرجع استفادة داعش من الفضاء المجازي الى جملة اسباب:

- إمكانية الوصول وسهولة عرض المحتوى هو أمر يمكن تحقيقه دون تشكيل أي دولة وبالطبع بدون أي تكلفة.
- تواجد غالبية الجمهور المستهدف للجماعات الإرهابية في شبكات الانترنت، يعني امكانية الاستخدام من عامة الناس.
- إرسال المنشورات في شبكات التواصل الاجتماعي بشكل مجاني ودون أي فلترة حكومية وبسرعة عالية جداً[١].

وبالتالي، فان المساحة التي تركها الفضاء المجازي لخطاب تنظيم داعش اتسعت بشكل مميز وعالي، مما دعاه الى سهولة الوصول الى اهدافه ومرونة التحكم في خياراته. وكذلك، قدرة ومرونة التحكم في كيفيات الخطاب وتوسيع دائرة المخاطبين بالنسبة له، وبالتالي قدرته على تشكيل الافعال الاجتماعية تبعا لذلك.

فمن حيث الشكل، تركت قدرة الخيال مساحات واسعة، فقد اعتمد التنظيم تبعا لمخاطبيه على التركيز على مشتركات واهداف تكون محط قبولهم، واستخدم دلالات الصورة والصوت واللغة والرموز بشكل مميز جدا، فهو يخاطب بمختلف اللغات ويستخدم الصورة بشكل احترافي جدا، وبالتالي قدرته على صياغة ابطاله بشكل حرفي وعالي وموضع قبول، وكذلك استخدام المقاطع التصويرية ذات الاهداف الباعثة على الترغيب بدولة الخلافة، او الترهيب بصياغة شكل الدولة المخيفة وبناء عنصر داعش على انه عنصر قوي لا يهزم ويمكنه ان يعيش بظروف قاهرة، باستخدام دلالات ورموز عديدة، وبالنهاية فهو يقوم بانتاج افلام بحرفية عالية جدا تعتمد وسائل حديثة وادوات تصوير وتقنيات متطورة جدا، اضافة الى استخدام لغات متعددة وتركيز الخطاب على اللغة الانكليزية[٢]. فمن حيث الشكل، وتحليل المضمون الشكلي كان هناك تطور كبير جدا في الاستفادة من الفضاء المجازي. ومن الملفت مثلا ان يقدر رئيس جهاز الشرطة الاوربية (يوروبول) روب وينرايت امام لجنة الشؤون الداخلية في مجلس العموم البريطاني ان عدد الذين

---

[١] نجات، سيد علي، كالبد شكافي داعش ماهيت: ساختار تشكيلاتي.. راهبردها.. وپيامدها، (تهران: مؤسسه فرهنگي مطالعات و تحقيقات بين المللي، ١٣٩٥(٢٠١٦)، ص١١.

[٢] ابو زرة، مصدر سابق.

غادروا اروبا للالتحاق بالجهاديين يقدر بنحو ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ شخص[١]، وان معظم هؤلاء لا يجيدون كلمة واحدة من اللغة العربية، لكن استطاع تنظيم الدولة الوصول واقعهم.

وكذلك كان الامر مع توسيع دائرة المخاطبين، فبدلا من حصر الخطاب في فئة انصار الدولة او مواطنيها –ان صحت التسمية– ظهر الخطاب على مستويات عديدة، مثل الانصار، الموالين، المساندين، المعتاطفين، ووصولا الى العناصر التي يختلف معها التنظيم فكريا وعقائديا. وبالتالي استطاع ان يوسع دائرة متلقيه بشكل ملفت جدا.

وعلى مستوى تأثير الخطاب في البناءات الاجتماعية، ونتيجة ذلك الخطاب، فقد اثمر عن ايصال رسالة داعش وتوسيع فكره ونشر عقائده بشكل مميز، بات يهدد اوربا وامريكا والدول العربية اجمع. كما اثمر ذلك عن توسيع دائرة المتطوعين في دولته، حيث تشير الاحصاءات الى ان ٩٠% من عمليات التجنيد تتم من خلال الإنترنت ووسائط التواصل الاجتماعي، حيث تنتشر مقاطع فيديو فيها الكثير من الحرفية لجهة التأثير النفسي والقدرة على الإغواء، لا مشاهد عنف فيها بالضرورة بل مقاطع من أفلام مثل "ماتريكس" و"سيد الخواتم" وموسيقى جذابة وكلام مؤثر عن المظلومين إخوتنا في الإنسانية وواجب نصرتهم والدفاع عنهم، ومع التكرار يقتنع المستهدَف بأنه "مختار" للدفاع عن قضية عادلة، ويستبق الفيديو الانتقادات التي سوف يتعرض لها "المختار" من المقربين منه فيطلب منه تجاهلها وعدم التعامل معها"[٢].

رابعا: الخطاب بين الواقع الفيزيائي والفضاء المجازي:

وعلى ما تقدم، فان طبيعة انتقال الخطاب الاعلامي من الواقع الفيزيائي الى الفضاء المجازي، او الاستفادة عموما من الفضاء الفيزيائي، شكل تطورا نوعيا وهائلا بالنسبة لخطاب داعش، ويمكن ان نتلمس ذلك على الخطوات الثلاث:

من حيث الشكل والمضمون، صارت هناك مساحات واسعة في الحركة والتدليس، واختيار الرموز والقصص والاساطير التي تناسب عقلية المتلقي العربي، والاوربي. وصارت هناك لغات متعددة واشكال متطورة واحترافية في الصورة الفوتوغرافية والفيديو والاناشيد الحماسية.

---

[١] **جريدة الجمهورية اللبنانية، في ٢٠١٥/١/١٥.**

[٢] **ابوزره، مصدر سابق.**

من حيث المتلقي، فقد سهل الفضاء المجازي وصول التنظيم الى مختلف الشرائح وتوسيع دائرة متلقيه وقدرته على جذب العديد الى صفوفه، وهو بذلك استخدم لغات متنوعة وركز على قابليات وقدرات خاصة في الشخصيات واستطاع بشكل هائل ان يوسع دائرة مخاطبيه ومن ثم انصاره وهو ما اتضح بشكل ملحوظ في ميدان المعارك التي غالبا ما كان يديرها اشخاص من جنسيات اوربية وامريكية وعربية متنوعة هم حصيلة الخطاب الداعشي المتطور في الفضاء المجازي.

في مستوى التأثير والبناءات الاجتماعية، استطاع داعش من خلال الفضاء المجازي الى تعميق حالة التفرقة والعداء ونبذ الاخر، وبالتالي خدمة اهدافة في ايجاد اكبر مساحة من المؤيدين، كما استطاع ان يؤسس لمفاهيم وسلوكيات العنف والقتل وايجاد ابشع صور الجريمة، وغيرها من السلوكيات.

والاهم في ذلك، ان الانتقال من الواقع الفيزيائي الى الفضاء المجازي، مكن داعش من اعادة النظر في المكونات التقليدية لبناء الدول وتحول من التمكين الموجود على الارض والذي يسمح له باقامة الحدود وفرض الشريعة الى الممكن الذي يخاطب فيه انصاره عبر الفضاء المجازي وبالتالي انتشرت دولته بشكل هائل في الفضاء المجازي. فهو بذلك استعاض عن العناصر التقليدية للدولة بين الفضائين الفيزيائي والمجازي: من المواطن بصورته التقليدية الى المؤمن بالفكرة والموالي حيثما كان، ومن الحدود التقليدية المحددة الى الحدود المفتوحة حيث يوجد انصار ويوجد مجموع من يعتقد بالدولة، من الشعب الى الامة، ومن الحكومة بشكلها التقليدي الى شرط البيعة لإمارة التنظيم افتراضيا. واكثر من ذلك استطاع التنظيم ان يوظف واقع دولته التي تم القضاء عليها عام ٢٠١٧ بشكل خيالي وحالم متغاضيا عن كم السلبيات والحالة البوليسية والاضطهاد الذي مارسه فيها الى وصفها حلم واحد اهم ركائز خطابه بالوعيد بدولة اخرى قادمة.

الاستنتاجات:

ولما تقدم، يمكن الاستنتاج أن حسم المعركة عسكريا في مواجهة تنظيم داعش وحصر وجوده على الواقع الفيزيائي وتقويض دولته المزعومة، لن يعني بأي شكل القضاء عليه، بل سوف يؤدي الى تطور ملحوظ لخطابه الاعلامي في اتجاه مواز لذلك في الفضاء المجازي. واكثر من ذلك ستكون تجربته في الفضاء الفيزيائي وادارته لدولته خلال الفترة الوجيزة (٢٠١٤-٢٠١٧) موضوعا مميزا يضاف الى اهداف الحالمة واليوتوبيا المزعومة التي ميزت خطابه والتي سبق ان صورها عن دولته قبل قيامها الامر الذي يدعوه لاحقا الى مزاوجة تلك التجربة العملية لتدعيم فرضياته الحالمة والتي ميزت شكل خطابه اضافة لعوامل

اخرى سعى الى توظيفها ببراعة شديدة، في مقدمتها توظيفه المنتقى للتاريخ وقراءته المجتزأة والنفعية لذلك بما يخدم اهدافه. من هنا جاز لنا الفرض ان تجربته المهمة في ادارة الدولة والتي صاغها بالشكل الذي يريده عبر توجيه وسائل الاعلام وحصر المصادر الخبرية وصياغة الخطاب الخاص به ليعطي صورة توافق طموحات اتباعه ومؤيديه المنتشرين على الفضاء المجازي، وستكون موضوع خطاب يعطي دفعا لمستقبل عودة الدولة المزعومة.

وبالتالي، فان اية جهود لمكافحة هذا التنظيم ضمن فضاءه المجازي بعد ان تحققت النجاحات العسكرية على الواقع الفيزيائي، يجب ان تأخذ بنظر الاعتبار وتبعا لما تقدم، جملة موارد:

- الكشف ادوات داعش والبنى الاجتماعية المكونة لخطابه باستخدام ذات الاليات والمستوى من الحرفية التي يمتلكها التنظيم في تسويق خطابه او بما يفوق ذلك، من خلال تقديم خطاب مستوعب يقوم على بنى اجتماعية راكزة بمنطوق وروابط واضحة واعتماد نص مميز بمختلف اشكاله وكيفياته.

- حيث ان الفكر لا يدحض بالقوة، بل قد تكون القوة عامل تثبيت اكثر منها زعزعة الأفكار، لذلك يجب ان تكون الجهود منصبة على صياغة خطاب يعمد الى تنفيذ الأفكار ومحاربة الأفكار بالأفكار بعد مرحلة القضاء على الوجود الميداني.

- التوجه للفضاء المجازي وتعزيز القدرات المحلية والدولية وتكثيف الجهود بالاستفادة من الخبرات النفسية والاعلامية والاجتماعية في مواجهة جيش التنظيم الالكتروني.

- تقديم الحقائق عن طبيعة الدولة، ومنافاتها لأبسط حقوق الانسان وانتهاكها لكرامة موطنيها، وبيان الوجه الاخر من الدولة القائم على تذمر الناس من وجودها، للحيلولة دون تحولها الى رمزية لاستقطاب المؤيدين او السعي لتكرارها. وذلك بتفكيك وقراءة الخطاب الاعلامي قراءة نقدية فاحصة ومميزة عبر جهد مؤسسي ومتخصص، والابتعاد عن الجهود الفردية التي قد تعزز خطاب التنظيم المتطرف بدلا من معالجته.

قائمة المراجع:

١)ابو زره، عبد الحميد، الصورة والرمز في اعلام داعش، مجلة "ن بوست" المغربية، ٢٠١٥، على الموقع الالكتروني: https://www.noonpost.org/content/6189.

٢)ارشيد، فيصل، كيف يستخدم داعش الانترنيت في الترويج لنفسه، مقال منشور على موقع "بي بي سي العربية" في ٢٠١٤/٦/١٩: https://www.bbc.com/arabic/middleeast/.
٣)بغورة، الزواوي، بين اللغة والخطاب والمجتمع.. مقاربة فلسفية اجتماعية، الجزائر- مجلة إنسانيات، (العددان ١٧ و١٨ لسنة ٢٠٠٢)
٤)جريدة الجمهورية اللبنانية، في ٢٠١٥/١/١٥.
٥)فاركلوف، نورمان، تحليل الخطاب.. التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبه، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩).
٦)فركلاف، نورمن، تحليل انتقادي گفتمان (تحليل الخطاب النقدي)، ترجمه فاطمه شايسته بيران، (تهران: مركز مطالعات وتحقيقات رسانه، ١٣٩٠(٢٠١١).
٧)القليني، سوزان، مناهج البحث الاعلامي، (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠١٥).
٨)لورغنسن، ماريان، وفيليبس، لويز، تحليل الخطاب.. النظرية والمنهج، ترجمة: شوقي بوعناني، (المنامة، هيئة البحرين للثقافة والاثار، ٢٠١٩).
٩)مناع، هيثم، خلافة داعش، (كوبنهاكن: مؤسسه بيسان، ٢٠١٥).
١٠) منصور، تريزا، اعلام داعش: الوسائل والخطاب الدعائي والتنقيات، بيروت- مجلة الدفاع الوطني اللبناني (العدد ١٠٠، نيسان ٢٠١٧).
١١) ناجي، ابوبكر، ادارة التوحش، (حلب: دار التمرد، بدون تاريخ).
١٢) نجات، سيد علي، كالبد شكافي داعش ماهيت: ساختار تشكيلاتي.. راهبردها.. وپيامدها، (تهران: مؤسسه فرهنگي مطالعات و تحقيقات بين المللي، ١٣٩٥(٢٠١٦).
١٣) الهاشمي، هشام، تنظيم داعش من الداخل، (لندن: دار الحكمة، ٢٠١٦).